

الأنشطة السياسية والعسكرية لإيليريا وأثرها على التغلغل الروماني

في شرق البحر الإديرياتيكي

The political and military activities of Illyria and its impact on the Roman penetration in the eastern Adriatic

أحميده خير الله الدار ه مسعود*

جامعة طبرق (ليبيا)

ahmeida20152012@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/12 تاريخ القبول: 2022/04/18 تاريخ النشر: 2022/04/30

ملخص: لعل الظروف السياسية والاقتصادية المضطربة التي مرت بها منطقة شرق البحر الإديرياتيكي في أواخر القرن الثالث ق.م، وما صاحبها من الأعمال العدائية، والهجمات البحرية التي كان يشنها الإيليريون ضد السفن والمسافرين في البحر الإديرياتيكي، والتي امتدت إلى مسافات متفاوتة؛ هي الوسيلة التي بررت روما من خلالها التدخل في منطقة البحر الإديرياتيكي بعد أن قسم الإيليريون أنفسهم مجموعات عديدة تحت قيادة الملك أجرون 230-265 ق.م، حيث بدأ الإيليريون في تحقيق المكاسب السياسية، وعلى هذا الأساس انطلقت روما في حربها مع إيليريا وحلفائها من أجل الحفاظ على السلام في البحر الإديرياتيكي، وقد كان اغتيال السفير الروماني من قبل إيليريا من الأسباب الرئيسة للحرب الإيليرية الأولى، كما كان للخيانة وتقديم المنفعة الشخصية على قضايا الوطن دور رائد في هذه الحرب؛ ولعل هذا يتضح من موقف (ديميتريوس فاروس) الذي كان مسئولاً مسئولية مباشرة عن انطلاق الحرب الإيليرية الثانية، فقد كانت سياسته النفعية من أهم الأسباب والدوافع التي جعلت تلك الحرب تتجدد مرة أخرى، والتي تعتبر الخطوة الأولى نحو التصادم مع مقدونيا أولى ممالك ودول العالم الهيلينستي.

كلمات مفتاحية: الإديرياتيكي، الإيليريون، روما، أجرون، ديميتريوس.

Abstract: Perhaps the turbulent political and economic conditions experienced by the eastern Adriatic region at the end of the third century BC, and the accompanying hostilities, and the naval attacks launched by the Illyrians against ships and travelers shipsand travelers in the Adriatic Sea, which extended to varying distances; It is the means by which Rome justified its intervenenion in the Adriatic region. After the Illyrians organized themselves into many groups under the leadership of king Agron 265-230 BC,the Illyrians began to achieve political gains, and on this basis Rome launched its war with Illyria their allies in order to maintain peace in the Adriatic Sea. And the assassination of the Roman ambassador by Illyria was of the main and real causes of the First Illyria war; Betrayal and giving personal benefit on the account of homelands issues also played a leading role in this War. Perhaps this is evident from the position of (Demetrius Varus), who was directly responsible for the start of the Second Illyrian War, His utilitarian policy was one of the most important reasons and motives that made that war renewed again, which is the first step towards a collision with Macedonia, the first kingdoms and states of the Hellenistic world.

Keywords: Adriatic. Illyrians. Rome. Agron. Demetrius.

مقدمة:

لعل الظروف السياسية والاقتصادية المضطربة التي مرت بها منطقة شرق البحر الادرياتيكي في أخريات القرن الثالث ق.م، وما صاحبها من الأعمال العدائية، والهجمات البحرية من السلب والنهب التي كان يشنها الإيليريون ضد السفن والمسافرين على السواحل الشمالية الغربية والجنوبية للبحر الإديرياتيكي، والتي امتدت إلى مسافات متفاوتة وصولاً إلى دالماتيا في الجنوب الغربي؛ هي الذريعة التي بررت روما من خلالها التدخل في منطقة البحر الإديرياتيكي. فمنذ أن تجاوزت أنشطة إيليريا مرحلة جمع الطعام، إلى تلك الأنواع من الأعمال اللصوصية الكبيرة، والتي تحولت وبسرعة من مجرد عمليات فردية غير منظمة، تهدف إلى الحصول على الغذاء، إلى أنشطة واسعة الانتشار امتدت إلى مناطق كثيرة لاسيما بعد أن نظم الإيليريون أنفسهم في مجموعات عديد تحت قيادة الملك أجرون 265 - 230 ق.م، ثم تطورت قدراتهم في هذا السبيل، وامتلكوا خبرة ومعرفة بالطرق البحرية التي تنتظم فيها السفن العابرة، بعد ازدياد حجم التبادل التجاري، ونشاط الحركة التجارية في مناطق جنوب البحر الإديرياتيكي، حيث بدأ الإيليريون في تحقيق مكاسب كبيرة، وقد وصلت هذه الأعمال ذروتها في عهد الملك (أجرون) وزوجته - الملكة تيوتا- وهي مرحلة تحقيق المكاسب السياسية، وإنشاء تحالفات، وفرض مناطق نفوذ خاصة بهم، ومن ثم شكلت هذه المرحلة المتطورة مصدر قلق للجمهورية الرومانية؛ حيث امتدت نشاطاتهم إلى مناطق وأقاليم أضرت بالخطوط التجارية للممالك المجاورة، الأمر الذي عرّض المصالح الرومانية للخطر، لا سيما وأن روما كانت منشغلة بالجبهة الجنوبية، قرطاج، خلال هذه الفترة. غير أن تطور هذه الأحداث، وارتفاع وتيرة الاعتداءات واستمرارها من مملكة إيليريا، لفت انتباه الرومانيين لهذه الممارسات، وعلى هذا الأساس زاد اهتمام روما بشأن هذه المناطق التي تفاقمت أوضاعها، وأصبحت تشكل تهديداً كبيراً وخطيراً عليها، ومن ثم انطلقت روما من هذا الواقع الصارم الذي جعلها تدخل وبقوة في حرب مع إيليريا وحلفائهم في المنطقة. وعلى الرغم من أن حروب هانيبال القرطاجي كانت قد أنهكتها كثيراً، إلا أن أنشطة إيليريا المستمرة قد أجبرتها قهراً على هذا العمل العسكري، والدخول في هذه الحرب؛ من أجل الحفاظ على السلام في البحر الإديرياتيكي، وتأمين ظهرها من أي تقارب بين هذه القوة وغريمها هانيبال القرطاجي، دون مبالاة بما يترتب على ذلك من نتائج. وقد كان اغتيال السفير الروماني من قبل إيليريا من الأسباب الرئيسة للصراع بين روما و إيليريا، حيث شكل ذلك الاغتيال البداية الحقيقية للحرب الإيليرية الأولى؛ فالسفارات والاحتجاجات التي أرسلتها روما إلى الملكة تيوتا؛ كانت تعمل فوق خط الدبلوماسية، أي بطريقة التهديد المباشر، حيث كانت روما تعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع القوة الإقليمية بشروطها هي، ومن ثم تكون هي القوة الوحيدة المسيطرة في عالم البحر المتوسط، من أجل تشكيل المنطقة حسب مصالحها الخاصة. وقد تبين لنا ذلك من خلال الشروط التي تضمنتها المعاهدة مع إيليريا وقرطاجة ومن بعدهم انطيوخس الثالث في معاهدة أباميا 188 ق.م. كما كان للخيانة وتقديم المنفعة الشخصية على

قضايا الوطن دور رائد في هذه الحرب؛ ولعل أصدق دليل على ذلك هو موقف (ديميتريوس فاروس) الذي كان مسؤولاً مسئولية مباشرة عن انطلاق الحرب الإيليرية الثانية، فقد كانت سياسته النفعية وطموحاته الشخصية من أهم الأسباب والدوافع التي جعلت تلك الحرب تتجدد مرة أخرى، وكانت هي الباب الذي ولجت منه روما مرة ثانية إلى مناطق جنوب شرق البحر الإديرياتيكي، والتي تعتبر نقطة البداية في وضع منطقة شرق البحر المتوسط على لائحة السياسة الخارجية الرومانية، فكانت هذه الحروب ضد إيليريا وشرق البحر الإديرياتيكي الخطوة الأولى نحو التصادم مع مقدونيا أولى ممالك ودول العالم الهيلينستي.

أولاً: الأنشطة البحرية الإيليرية في عهد الملك أجرون وتيوتا، الأسباب والنتائج

شهدت منطقة إيل+ليريا التي تعرف اليوم بالشريط الساحلي لكل من يوغسلافيا وألبانيا وجزء من ساحل اليونان الغربي على البحر الإديرياتيكي والأيووني، (انظر الخريطة رقم 1)، ففي هذه المنطقة بدءاً من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد شهدت العديد من الأنشطة العدوانية للقبائل المحلية التي كانت تقطن هذه السواحل، والتي أطلق عليهم الإغريق منذ أزمنة قديمة اسم إيليريا، فهذه المناطق شهدت عدة مراحل حيث كانت بادئ الأمر وقبل عهد الملك الإيليري أجرون 265-230 ق.م، تتعلق بشكل رئيسي بعمليات الغزو والسلب واعتراض سفن المسافرين دون قصد دولة بعينها أو مملكة محددة، بهدف الحصول على الغذاء فقط. (1) عندما توحدت هذه القبائل تحت راية أحد الزعماء المحليين والذي يدعى أجرون، ولهذا يعتبر الأمير أجرون هو المؤسس الحقيقي لمملكة إيليريا، حيث أجرى هذا الأمير - بعدما أصبح ملكاً- العديد من الاتفاقيات مع الممالك المجاورة: مقدونيا وثراسيا بشأن ترسيم الحدود، ومن ثم أخذت سفنه تنشط في العديد من شواطئ البحر الإديرياتيكي وصولاً إلى دالماتيا الواقعة جنوب غرب اليونان على البحر الأيووني، واندفعت أعداد كبيرة من القبائل والممالك الإيليرية للعمل كمرتزقة في جيوش الملك أجرون. وبسبب الكثافة السكانية، وعدم وجود موارد أو مجال آخر غير الاتجاه إلى البحر في هذه المناطق؛ كانت المنطقة مجبرة لإعانة نفسها عن طريق القيام بأعمال السطو والإغارة والانخراط مع هذا الملك في ممارسة هذه الأنشطة العدوانية واعتراض السفن المحملة بالحبوب إلى روما خاصة بعدما تأكدوا من عدم وجود أي قوات عسكرية قد تعيق ممارساتهم، وهي فترة انشغال روما بظروفها السياسية الداخلية والخارجية الممتلئة في الحرب البونية الأولى. (2) لذا كانت هذه

(1) Polybius, Histories, trans by: Paton. W.R Vol, I, II, III, IV, V, VI; II. (LCL, London, 1960). 12.6.

Appian, Illyrian Wars, 2005 ; Appian, Histories, Romen, v10, II, 8, 2005, VIII, X, 5.

(2) Harry J. Dell, The Origin and Nature of Illyrian Piracy, Zeitschrift, Fur Alte vol. 16. 1967, 357.

الظروف الإقليمية في منطقة البحر الإديراتيكي قد أعطت الفرصة إلى الملك الإيليري أجرون وزوجته الملكة تيوتا، لبناء قوة مرعبة امتدت من جوار مملكة إبيروس إلى جزر دالماتيا حيث المستوطنات الإغريقية ، وأن جميع المناطق على طول هذا الخط الساحلي قد اعترفت بسيادته .(3) عند هذه النقطة التي وصلت إليها الحالة في منطقة إيليريا من عمليات بسيطة محدودة على السواحل القريبة تهدف إلى الحصول على الطعام عن طريق تلك الأعمال اللصوصية واعتراض السفن إلى مرحلة تحقيق المكاسب السياسية والشخصية، (4) وقد شكلت هذه المرحلة المتطورة مصدر قلق للجمهورية الرومانية بعد أن أصبحت أعمالهم واسعة الانتشار وامتدت إلى مناطق وأقاليم أضرت بالخطوط التجارية للدول المجاورة التي أصبحت تحت نفوذهم وسيطرتهم.(5) وهذا ما يدفع للقول: بأن الأسباب الحقيقية لهذا الصراع بين روما وإيليريا كانت أولاً في مُجمل مفهوما أسباب ودوافع اقتصادية، ثم بعد ذلك أصبحت سياسية بحته بين روما وإيليريا من أجل بسط السيطرة والنفوذ على مياه البحر الإديراتيكي.(6) وفي هذا يقول المؤرخ بوليبيوس: (7) إن الملك أجرون قد امتلك أرضاً عظيمة وقوة بحرية وبرية أكثر من أي ملك إيليري آخر، وهو ما مكنه من توسع سلطانه ونفوذه على مساحات شاسعة من مناطق البحر الإديراتيكي وصولاً إلى مناطق النفوذ التجاري الروماني في الجنوب.(8) وبعد أن كون هذه القوة البحرية الضخمة تحت سلطانه، واعتمد مبدأ الاعتداء على السفن وأعمال السلب المورد الرئيسي والرسمي لمملكته وقد استولى أجرون على مملكة إبيروس وكورسيرا وإبيداموس وفاروس وأسس حاميات فيها؛ (9) وهو ما سهل انضمام أعداد كبيرة إلى جيشه حيث كان معظم سكان هذه المناطق آنذاك خليطاً من قبائل أغلبهم من أصول نصف إغريقية وأكثر معرفة وركوباً للبحر، ولهذا كانوا على دراية كبيرة بالأعمال العدوانية

(3) Polybius, Histories, VI, 1, 8.9.

(4) Harry J. Dell, The Origin And Nature Of Llyirian Piracy, p358.

كذلك انظر عبداللطيف أحمد، على، التاريخ اليوناني، العصر الهللاي، بيروت، دار النهضة العربية، 1971، صص 8-10.

(5) H.A. Ormerod, M. Cary, East, Rome, and, The, East, C.A.H, Vol, ix, ch, viii, Cambtidge, 1932, p350.

(6) Strabo, the Geography, XIV, eng, tran, by Horace, (LCL, London, 1988, V, 1.

(7) Polybius, Histories, 2, 2.

(8) Eckstein, A.M. Rome Enters the Greek East, (ChiChester, 2012), p34

(9) Appian, Historie, Romen, VIII, II, 7.

وبالسطو والإغارة، حيث مكنتهم هذه خبرتهم ومعرفتهم بالمسالك والقنوات البحرية من توسع أنشطتهم إلى الساحل الغربي لبلاد اليونان حتى بحر إيجه ومدينة أليس وميسينيا ولبوسيا في الجنوب. (10)

أيضا كان التحالف الذي عقده هذا الملك مع مملكة مقدونيا من الأسباب التي جعلته قادراً على شل الاعتداءات الخطيرة من جانب الدردانيين، حيث أصبح الأسطول الإيليري بإمكانه وقف اعتداءات الدردانيين وبسط نفوذه على تلك السواحل، (11) وعلى أثر هذا التحالف أرسل الملك أجرون بناءً على مقترح من ملك مقدونيا قوة لمحاربة الإيتوليين والتي كانت ناجحة في إنقاذ المدينة وإنزال هزيمة ساحقة ضد الإيتوليين، غير أن الملك أجرون لقي حتفه أثناء احتفاله بالانتصار على الإيتوليين عندما وصف له قائد قواته وصفاً دقيقاً لمجريات المعركة وهزيمة حلفاء روما هزيمة ساحقة؛ لهذا كان الفرح والإحساس بالتفوق على الإيتوليين قد منحه شعوراً سعيداً وفخراً عظيماً لدرجة انخراطه في احتفالات صاخبة غاية في الانفراس والشراب فسقط على إثرها مريضاً بالرئة مما أودى بحياته في غضون أيام قلائل؛ فتولت أرملته الملكة تيوتا الحكم، وكانت تيوتا امرأة قاسية شكاكة فباشرت على الفور بإرسال الحملات وأعمال الغزو لتهاجم كل من كان على خلاف مع زوجها، فاستولت على العديد من المدن في جنوب البحر الإديراتيكي التي كانت تنشط بها حركة تجارية كبيرة خاصة مع روما مثل مدينة فونيس، المدينة الرئيسية لإبيروس، مثبتة بذلك سيادتها على تلك المناطق؛ وحتى هذه اللحظة كان الرومان قد امتنعوا عن الرد، على الرغم من أن الاعتداءات على السفن المغادرة من روما أو القادمة إليها كانت طويلة المدى. (12)

لقد كان الاستمرار في القيام بالأعمال العدوانية من جانب الملكة تيوتا على كل سواحل ومناطق الإديراتيكي أمراً خطيراً، فبعدما تمت سيطرتهم على مدينة فونيس في الوقت الذي كان بها تجار إيطاليون؛ فقاموا على الفور بقتل وأسر عدد كبير منهم الأمر الذي أثار غضب مجلس الشيوخ الروماني. (13) كما كان لهم أسلوبهم الخاص في المكر والخديعة والمراوغة، ومن بين ذلك عندما رست مجموعة من سفن الإيليريين بالقرب من مدينة ميسينيا حيث تظاهروا للسكان في الساحل بأنهم تجار، وعندما اطمأن الأهالي لهم ودخل

(10) Harry J. Dell, The Origin And Nature Of Illyrian Piracy, p353.

(11) إبراهيم، نصحي، تاريخ الرومان، ج1، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ط 2، 1998، ص 263.

(12) Polybius, Histories, VI, 1, 4; 1, 11, 2, 3.

(13) Appian, Illyrian wars, VIII, X, II, 7.

الرجال والنساء إلي سفنهم من أجل البيع والشراء، تم القبض عليهم، وفي سرعة مذهلة كانوا قد دخلوا بهم عمق البحر بقصد بيعهم عبيداً في سوق النخاسة.(14) وبنفس الأسلوب من الخداع والمراوغة جرت حيلة أخرى نفذها الإيليريون في مدينة أبيداموس على ساحل الإديراتيكي حين نزل الإيليريون من سفينهم على شاطئ المدينة متظاهرين بطلب المياه للشرب، وكانوا يخفون سيوفهم القصيرة في جرار المياه التي يحملونها، وسرعان ما انقضوا على الحراس في بوابة المدينة، إلا أن بسالة الحراس والأهالي كانت أقوى من حيلتهم وخداعهم، وهو ما جعلهم يفشلون في الاستيلاء على المدينة.(15) لقد سمح غياب القوة الإقليمية في المنطقة بظهور وانتشار النشاط الإيليري الذي سيطر سيطرة شبه تامة على معظم سواحل البحر الإديراتيكي، فالانهيار المترام للمملكة الإيبيروتية مع تزايد وتيرة الغارات الإيليرية والاستيلاء على فينيقية وهي مستوطنة أساسية في الرابطة الإيبيروتية شجعت النشاط الإيليري في المنطقة، (16) حيث استهدف الإيليريون أبيداموس وأبولونيا وكورسيرا في الخليج الأيوني.(17) فهذه المدن والمواقع التي سيطر عليها الإيليريون لها أهمية استراتيجية وسياسية واقتصادية، كونها تعطي الإيليريين قاعدة قوية شمال وجنوب مضائق أوترانتو، علاوة على ذلك فإن هذه المدن عبارة عن مناطق تنشط بها حركة تجارية مزدهرة ليست لروما فقط، بل لكل مدن منطقة شرق ووسط البحر المتوسط. (18) لذا اتسعت وتمددت عملياتها لتصبح هذه المنطقة من أكبر مناطق البحر الإديراتيكي اضطراباً وخطراً على التجار والمسافرين.(19) حيث عمت موجة من الأعمال العدائية والفوضى بشكل كثيف وأصبح لهم علاقات مع زعماء القبائل في مختلف مناطق البحر لدرجة أنهم استخدموا العملة النقدية في ممارساتهم وتعاملاتهم، وهذا يعكس مدى المرحلة التي وصل إليها الإيليريون وسيطرتهم على المناطق التي تعتبر مصادر اقتصادية لروما؛ الأمر الذي أدى إلى التصادم وجهاً لوجه مع المصالح الرومانية.(20) ويذكر المؤرخ وبلكس أن فظاعة وقسوة الأعمال العدوانية الإيليرية أصبحت واسعة الانتشار في العالم الإغريقي والروماني واكتسبت

(14) Harry J.Dell, The Origin And Nature Of Illyrian Piracy. p 353.

(15) Polybius, Histories, I, II,9.

(16) Appian, Illyrian. 3.2.7.

(17) Polybius, Histories. 2.5,6

(18) Eckstein, A.M. Rome Enters the Greek East, p35.

(19) Harry J.Dell, The Origin and Nature of Illyrian Piracy , 357-358.

(20) J.M.F.May, Macedonia, and, Illyria, (217-167B.C), the Journal, of, Roman, vol, 36, 1946, p53-54.

صيتاً سيئاً تجاوز كافة الأعمال الشنيعة في تلك الفترة.(21) من هنا يبدو جلياً أن قرار التدخل الروماني في إيليريا جاء نتيجة طبيعية للتصعيد لوقف هذه الممارسات التي تقوم بها الملكة تيوتا، فقد اشتهروا بالوحشية والقسوة في لفت انتباه الرومان إلى الخطر وانتشار الفوضى في البحر الإديراتيكي الذي تحول إلى منطقة غير آمنة تكثر بها عمليات السلب والنهب والسطو بعدما أصبحت بؤرة للصوص وقاطعي الطريق، مهددين بذلك خطوط التجارة الاستراتيجية لروما، ومضيق أوترانتو، والعديد من الدول ليس في شرق وجنوب البحر الإديراتيكي فحسب بل في جنوب إيطاليا وصقلية واليونان ووسط البحر المتوسط التي يعتمد عليها الاقتصاد الروماني. (22) وفي ضوء هذه المخاطر أرسلت الحكومة الرومانية عام 230 ق.م، احتجاجاً عنيفاً إلى الملكة تيوتا مع سفرائها الأخوة: جايوس ولوسيوس كورنانيوس؛ لوقف تلك الأعمال العدائية التي أضرت بروما اقتصادياً وسياسياً.(23).

ثانياً: اغتيال السفير الروماني

إن طبيعة تلك الأنشطة الإيليرية لم تتغير عن الطريقة التي بدأت بها، فلقد نجحت الملكة تيوتا في إطفاء وإخماد نار التمرد بين رعاياها في مدينة إيليسا بسبب الغنائم والأسلاب التي تم الحصول عليها من مدينة فونيس، من جانب آخر كانت روما قد استاءت من تصرفات هذه الملكة، ومن الهجمات التي يقوم بها أتباعها في المنطقة رغم إرسال السفراء والمبعوثين من أجل إيقاف هذه الأنشطة، غير أن هذه السفارات لم تأت أكلها، وأمام هذه الاعتداءات وانشغال روما بجبهتها الجنوبية الممثلة في حروب قرطاج استمرت الحكومة الرومانية في إرسال سفرائها إلى الملكة تيوتا، (24) كي يقوموا بإجراء تقصي مسألة الاعتداءات المتكررة التي تمارس ضدها، ومحاولة وقف نشاط الإيليريين ضد مصالحها في البحر الإديراتيكي.(25) غير أن سفارة القنصل كورنانيوس قد جاءت في ظروف خاصة حيث كان استقبال الملكة تيوتا لسفراء البعثة في هذه الظروف الصعبة ليس في صالح روما آنذاك، فالعديد من المدن مثل إيليسا وميسنيا وإيبيرس، (26) ما زالت ترفض

(21) Wilkes, J. J., the Illyrians (Oxford, 1992), pp. 225.

(22) Polybius, Histories, V, 4; D. W. Baranowski, Polybius and Roman Imperialism. Bristol, 2011, p. 65.

(23) Appian, Illyrian, II, X, II, 7.

(24) Appian, Illyria, 7.

(25) Holleaux, M., Rome, La Grèce, et, Monarchies Hellenistiques, Siècle, avant J.-C., 273-205, 1935, 99.

(26) Polybius, Histories, VI, II, 4-7.

الاستسلام، وجنودها ما زالوا في حصارهم لمدينة إيسا خوفاً من انشقاقها مرة أخرى، وفي هذه الأثناء وصل الوفد الروماني إلى القصر الملكي، وبعد السماح لهم بالحديث بدأوا في ذكر الأنشطة والممارسات التي حدثت ضدهم والتي أضرت كثيراً بتجارته وحلفائهم في المنطقة، وكانت الملكة تيوتا طيلة المقابلة تستمع إليهم بطريقة العجرفة وبسلوك لا يطاق، وفيه نوع من التراخي والاستهزاء. (27) كما حاولت الملكة التقليل من أهمية البعثة ومن التعنيفات والاعتراضات الرومانية. (28) وعندما أنهى السفير الروماني حديثه؛ قالت الملكة تيوتا بشكل صريح: إنها متأكدة أن روما لم تتعرض لأي نوع من المعاناة من جانب الإيليريين؛ أما فيما يخص بعض التصرفات التي ترونها في نظركم خطأ، هي عند الملوك الإيليريين ليست مخالفه في شيء؛ وأنه ليس من عادات الملوك الإيليريين عرقلة عمل رعاياهم في الحصول على المكتسبات والفوز بالغنائم. (29) وقد كان أصغر سفراء الوفد الروماني ساخطاً جداً لتلك التصرفات والكلمات التي صدرت عن الملكة؛ وقد تجرأ السفير كورانكانيوس راداً عليها حيث قال: إنه إذا حدث وتكررت مثل هذه التصرفات في المستقبل، فإن الرد الروماني سيكون عنيفاً وقاسياً، وأضاف قائلاً للملكة تيوتا: إن الرومان لديهم عادات هي مثار إعجاب عندهم، وهي معاقبة صانعي الأفعال المشينة والتي تضر بمصالحها، وأيضاً تأتي لمساعدة رعاياها المعتدى عليهم بشكل علني، وتأكدي أيتها الملكة أننا سنحاول - بمشيئة الله وبكل حزم - إجبارك قريباً على إصلاح عادات الإيليريين وملوكهم؛ (30) وعندما أنهى السفير حديثه ظهرت علامات السخط والغضب الشديد على ملامح الملكة دون مراعاة لنتائج ذلك مستقبلاً، فكانت غاضبة جداً من هذا الخطاب الصريح. (31) وتذكر العديد من المصادر التاريخية أن الكلمات التي استخدمها المبعوث للتعبير عن رأيه ونقل رأي حكومته إلى الملكة كانت سبباً في رد فعل عدواني من قبل الملكة تيوتا؛ (32) وهو ما أدى إلى الحكم عليه بالموت من قبل الملكة

(27) Polybius, Histories, II.8.

(28) Appian, Historie, II, X, II, 7.

(29) Polybius, Histories, I, II, 8.

(30) Polybius, Histories, VI, 1, 8.

(31) Polybius, Histories, 2.8.

(32) Dio Cassius, Roman History, Books. XXVI-XXVII, (LCL, London, 1984), 12.49; Polybius, 2.8.

الإيليرية.(33) ويؤكد المؤرخون ليفي وبوليبيوس وأبيان وديو كاسيوس أن الملكة كظمت حنقها وغضبها من هذا السفير، وعاقبته بطريقته الخاصة حيث دبرت مؤامرة لاغتياله أثناء رحلة عودته إلى روما.(34)

وكان حادث اغتيال المبعوث الروماني قد أغلق أفق أي سفارة أخرى بين الطرفين، وعندها عبرت قوات رومانية البحر الإديراتيكي لأول مرة سنة 229 ق.م، إلى بلاد اليونان؛ لمواجهة أسطول الملكة تيوتا.(35) على هذا الأساس يتبين لنا أن أول تدخل عسكري روماني في البحر الإديراتيكي كان ضد مملكة إيليريا وأن هذا التدخل كان لسببين، أولهما: تلك الممارسات والاعتداءات المتكررة للملكة على الشريط المائي للبحر الإديراتيكي وما له من أهمية اقتصادية وسياسية في ربط العديد من الكيانات السياسية حول هذا البحر، فهو يمثل الشريان التجاري للسفن والمصالح الاقتصادية والسياسية الرومانية في المنطقة. ثانيهما: الرد على عملية اغتيال السفير الروماني كورانكانيوس، حيث أكدت معظم المصادر التاريخية، أن إعلان الحرب الرومانية على الملكة تيوتا جاء بعد اغتيال السفير مباشرة، وأن التدخل الروماني جرى كرد مباشر على تلك العملية.(36)

في ضوء ذلك يتضح أن اغتيال السفير الروماني استخدم كذريعة للتدخل الروماني، علماً بأن الدافع الأساسي للتدخل الروماني هو إخماد الاعتداءات والأعمال العدوانية التي يقوم بتنفيذها الإيليريون، وتأمين الخطوط التجارية في المنطقة والتي كانت في تصاعد مستمر منذ بداية القرن الثالث ق.م، فالتحول المفاجئ في إيليريا من منطقة تمارس قليلاً من الأعمال اللصوصية والسطو؛ للحصول على الغذاء، إلى قوة بحرية مرعبة شكلت تهديداً حقيقياً للمصالح الرومانية، والممالك المجاورة (37) جعل من ردود الأفعال الرومانية قدراً كبيراً من القوة والجسارة؛ لإيقاف هذا التمدد والتوسع لتلك الأعمال العدوانية في تلك المناطق.(38) ولهذا عملت روما على إدخال المنطقة بالكامل دائرة اهتمام السياسة الرومانية وذلك بإقامة معاهدات دبلوماسية مع سلسلة من الكيانات التي ترغب في عقد اتفاقيات أمنية مع روما للحماية من خطر الاعتداءات الإيليرية،

(33) Polybius, Histories 2.8.

(34) Livy, ab, urbe, condita, Books, XX (Periochae) London, 1926; Appian, II, X, II, 7; Polybius, Histories, 2.

(35) Harris, war and Imperialism in Republican Rome, 327–70 BC, (Oxford, 1979), p195.

(36) Dio Cassius, Roman History, 12, 49; Polybius, Histories, 2.8; Appian, Illyrian, Wars 3.2.7.

(37) M. Maurice, the Romans in Illyria, C.A.H, vol, VII, Ch xxvi, (Cambridge, 1921), 51.

(38) Harry J. Dell, The Origin and Nature of Illyrian Piracy. p 358.

وأيضاً خلق مجال نفوذ الدافع الاستراتيجي للتدخل الروماني وتأمين الجنوب الشرقي للبحر الإديرياتيكي والذي له مخاطر مباشرة وكبيرة على روما حيث أن معظم خطوط التجارة الرومانية تمر بهذه المنطقة.(39)

وعندما أعلن مجلس الشيوخ الروماني الحرب على إيليريا بعد عملية اغتيال السفير الروماني، كانت الملكة تيوتا منذ اللحظة الأولى تراقب مجريات الأحداث باهتمام بالغ، خاصة بعد أن أرسلت إلى الرومان طلباً بعقد معاهدة صلح وسلام لتكون صديقة للشعب الروماني، وتتفي أي صلة لها بمقتل السفير، وأن ما حدث بين روما وإيليريا سببته سياسة الملك الراحل أجرون، وأن الذين قتلوا السفير مجموعه من اللصوص؛(40) غير أن روما ردت عليها بإرسال حملة بحرية عسكرية استولت على بعض المدن والحصون والقلاع وهي في طريقها، ثم غادرتها بعد أن تركت حاميات عسكرية فيها، ثم ضربت حصاراً على مدينة أبيداموس ولسوء حظ الملكة تيوتا كانت الحامية الإيليرية في كورسيرا قد وضعت تحت قيادة ديمتريوس فاروس،(41) الذي كان يتولى منصب القائد العام للجيش الإيليرية، ولكن ديمتريوس المتآمر كانت له أطماع أخرى، ففتح قناة اتصال سرية للتفاوض مع قائد الحملة الرومانية القنصل فلافيوس،(42) الذي استطاع إقناعه بالتخلي عن الملكة تيوتا مقابل مكاسب شخصية، فقام ديمتريوس على الفور بتسليم المدينة إلى فلافيوس، والانضمام بقواته إلى الجيش الروماني (43) الذي كان يتكون من مائتي (200) سفينة، وعشرين ألفاً (20000) من المشاة، ومائتين 200 من الفرسان،(44) وقد استطاعت هذه القوات بعد جهود كبيرة التغلب على الملكة تيوتا، وتحرير وإنقاذ مدن أبيداموس وإيسا، ثم الاستيلاء على عدد من البلدان الإيليرية على الساحل، حيث اضطرت الملكة تيوتا بعد تخلي ديمتريوس عنها إلى التوقيع على معاهدة الاستسلام، بشروط روما التي وضعتها على النحو التالي:(45) أن تسلم الجزء الأعظم من مملكتها إلى بانيس ابن الملك الراحل أجرون الذي أصبح فيما بعد صديقاً للشعب الروماني، وأن تدفع جزية سنوية إلى روما، وألا تبحر بسفنها فيما وراء مدينة ليسوس بأكثر من

(39) Burton, Friendship and Empire: Roman Diplomacy and Imperialism, Republic (353–146 BC) 2011, p.28.

(40) Dio Cassius, Roman History, XII, 19.

(41) Polybus, Histories, II, 8–10

(42) Henry. A. Ormerod, Piracy in the ancient world, the press of Liverpool, (London 1924), p.173.

(43) Dio Cassius, Roman History, XII, 19.

(44) Polybus, Histories, II, 8–10

(45) Henry. A. Ormerod, Piracy in the ancient world, p.173.

سفينتين غير مسلحتين بأي نوع من الأسلحة،(46) أيضا تصبح قبيلة انتتاني الإيليرية ضمن رعايا روما وحلفائها،(47) والجزء الأعظم من المملكة مثل مدينة كورسييرا وفاروس وإيسا وأبيداموس وضع تحت سيطرة ديمتريوس فاروس الذي أصبح حليفاً لروما وصديقاً مخلصاً ثمناً لخيانته ووقوفه مع الرومان.(48)

كان لنتائج المعاهدة التي وقعتها الملكة تيوتا مع الرومان، الأثر السياسي البعيد، ليس على منطقة البحر الإديراتيكي فحسب، بل على القوة الإقليمية في شرق البحر المتوسط، وسوف نرى أن بنود هذه المعاهدة هي التي ستشعل فتيل الحرب الإيليرية الثانية، أيضاً أضرت هذه المعاهدة ممالك ودول آسيا الصغرى وبلاد اليونان حيث ولجت من خلالها روما إلى فرض الهيمنة على البحر الإديراتيكي لتوافر الأمن والأمان واستمرار التجارة البحرية، بينما لم يكن الأمر كذلك، كما كانت هذه المعاهدة فاتحة الصراع بين روما وممالك الشرق الهيلينستي فيما بعد، وبالفعل كانت أولى الممالك الهيلينستية التي ستصطدم بروما هي مملكة مقدونيا.(49) فهذه المعاهدة أنتجت وضعاً جديداً أصبحت فيه روما القوة الوحيدة المعروفة في العالم (القطب الاحادي) أو نظام القطب الواحد في البحر الإديراتيكي وشرق البحر المتوسط، وهو ما حدث للسلوقيين ثاني الممالك الهيلينستية التي تصطدم بها روما فيما بعد، وما نتج عن معاهدة أباميا عام 188 ق.م، فقد أنهت هذه المعاهدة نفوذ الملك السلوقي أنطيوخس الثالث في مناطق شاسعة من شرق البحر المتوسط، (50) حيث اضطر فيها أنطيوخس إلى تنفيذ نفس الشروط تقريباً التي فرضتها روما على الملكة تيوتا، أما مملكة مقدونيا فقد كانت أولى الممالك الهيلينستية التي اصطدمت بسياسة روما في المنطقة، وفي النهاية أسفر الصراع بين روما ومقدونيا على هزيمة الملك المقدوني برسيوس وانتهت بذلك مملكة مقدونيا من التاريخ.(51)

(46) Polybus, Histories, II,8-12.

(47) Henry.A.Ormerod,Piracy in the ancient world,p177.

(48) Polybus, Histories, II,8-12.

(49) Plutarch,Life of Flaminnus,9.4-5;Polybus,2,12;Eckstein,Rome Enters the Greek East,p26

(50) Bevan,E.R.the House of Seleucus,vol,1,(Chicago,1983),pp 106-108.

(51) .P.V.M.Benecke,Rome and the Hellenistic States,C.A,vol,Ch,LX,Cambrige,1932,p301.

على الفور وافقت الملكة تيوتا على هذه الشروط التي وضعتها روما وبذلك تكون الحرب الرومانية الإيليرية الأولى انتهت بالنتائج سالفة الذكر، وبحصول الرومان - لأول مرة - على موطن قدم في منطقة شرق البحر الإدياتيكي يمكنها أن تدير من خلالها سياستها القادمة في المنطقة. (52)

ثالثاً: ديمتريوس فاروس ودوره في الحرب الإيليرية الثانية

1- ديمتريوس وأسباب تحالفه مع الرومان

كان ديمتريوس يهدف من تحالفه مع روما تكوين مملكة خاصة به على حساب مملكة إيليريا، فلقد ساورته أحلامه بتكوين دولة قوية في المنطقة، ولذلك لم يدخر جهداً في توظيف عملية اغتيال السفير الروماني والعلاقات العدائية التي نشبت بين الملكة تيوتا والرومان في تنفيذ مشروعه الرامي إلى توسيع رقعة نفوذه، وتشير العديد من المصادر إلى أن دوافع الحرب الرومانية الإيليرية الثانية قد أسرعت بها أعمال ديمتريوس التي اتخذتها روما ذريعة للتدخل الثاني ضد مملكة إيليريا. (53) ففي الثلاث سنوات التي كان فيها الرومان منشغلين بحروبهم في بلاد الغال على نهر البو، والتهديدات من قرطاج، انطلق ديمتريوس فاروس في تحقيق أهدافه الاستراتيجية ومهاجمة المدن الإيليرية الخاضعة اسمياً لروما لتوسيع رقعته الجغرافية، وللحصول على الغنائم والمكاسب بعد أن ضمن ولاء روما ومساندتها له، حيث وصلت هجماته إلى جنوب ليسوس في البيلوبونيز والساريكلدس. (54)

لم يدرك ديمتريوس أن هذه السياسة سوف تجر مملكة إيليريا كلها ومن بعدها آسيا الصغرى إلى دائرة التدخل الروماني، وتعيد إلى أذهانهم ذكرى انطيوخس الثالث، (55) غير أنه انطلق في قيادة العديد من الحملات لبسط نفوذه على مساحات شاسعة تمكنه من تحقيق أهدافه، والاستلاء على العديد من المدن لدرجة أن الملكة تيوتا هربت إلى مدينة داريزون وهو مكان صغير محصن تحصيناً قوياً على مسافة من البحر، ويقع على نهر الرايزون؛ (56) فلقد كان ديمتريوس يرى في هذه الظروف وتحالفه مع روما الفرصة السانحة لتنامي

(52) Henry.A.Ormerod, Piracy in the ancient world, ,p 173.

(53) Appian,Illyran,3.2.7

(54) Henry.A.Ormerod, Piracy in the ancient world,p176.

(55) Bevan,E.R, the House of Seleucus 209.

(56) Polybius, Histories ,VI,I,11,

قوته واتساع قدرته؛ نظراً لثقلته المتزايدة وشعوره بعدم قدرة روما على رد الفعل إزاء تهديداته واستفزازاته لظروفها السياسية والعسكرية على حدودها الجنوبية والشمالية في بلاد الغال، فأجرى اتصالاته مع البلاط المقدوني، بخصوص مصير الحملة الرومانية في إيليريا، والتي كان ينظر إليها من الجانب المقدوني بعين القلق والسخط، فقد كانت هذه الحملة مكلفة بالحراسة والسيطرة على السواحل الإيليرية، وعندما قدم الملك فيليب الخامس الدعم والتشجيع لـ ديميتريوس للقيام بالتمرد على روما؛ وذلك للاستلاء على عدة مدن وبلدان ومواقع استراتيجية تابعة لروما، قام بالاتصال بعدو روما اللدود، هانيبال القرطاجي حيث عرض عليه التحالف معه، وكان من الطبيعي أن يرحب هانيبال بهذا العرض؛ لأنه وبمجرد وجود حليف له في البلقان كان سيدفع روما لتوجيه جانب من قواتها إلى الشرق من إيطاليا، مما كان يحتمل معه أن تقل الصعوبات التي قدر هانيبال أنها ستواجهها في الأراضي الإيطالية مستقبلاً،⁽⁵⁷⁾ فقد أراد ديميتريوس الغنم دون الغرم، وهكذا وقعت بين الطرفين معاهدة حلف دائم قضت شروطها أن يكون الحلف هجوماً طالما استمرت الحرب، ودفاعياً بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها، وقد أخذ فيليب على عاتقه القيام بالعمليات الحربية لطرد الرومان من إيليريا، كما تعهد بالوقوف جانب القرطاجيين إلى أن يحرزوا النصر، وتعهدت قرطاج بدخول فيليب طرفاً ثالثاً في مفاوضات الصلح بعد إحراز النصر، فتفرض على روما ألا تحارب فيليب بالمرّة، وأن تتخلى عن كورسيرا ومدينة فاروس وكل مواقعها على سواحل إيليريا، كما تفرض عليها أن تعيد إلى ديميتريوس الفاروسي أفراد أسرته الذين كانوا محتجزين في روما منذ عام 219 ق.م.⁽⁵⁸⁾ وقد استغل ديميتريوس الفرصة وقام بالهجوم على المدن الإيليرية الخاضعة لروما، حيث قاد حملات عسكرية إلى الجنوب على مدينة ليسوس وفي جزر البيلوبونيز.⁽⁵⁹⁾ وسرعان ما عمت البحر الإديراتيكي من جديد حالة من الاضطرابات وصلت إلى مدن برنديزيوم وتارنتيوم، وهي مدن تقع على ساحل الطرف الجنوبي الغربي من القدم الإيطالية، أي جنوب غرب البحر الإديراتيكي.⁽⁶⁰⁾

من هنا تبين أن ديميتريوس كان قد اعتبر التزام روما الصمت وعدم الرد على أعماله الجارية من 222 إلى 219 ق.م، بمثابة الضوء الأخضر لاستمرار تحركاته، فأخذ يمارس الأعمال لتحقيق أهدافه وممارساته العدائية واللصوصية ويسط نفوذه وسيطرته على نطاق واسع في المنطقة التي كانت تسعى روما لتأمينها،⁽⁶¹⁾ دون

(57) Appian, Historie, VIII, X, II, 8.

(58) Polybius Historie, , VII, 9.

(59) Polybius, III, 18-19.

(60) Livy, XL, 18 ; Polybius, XXI, 11.

(61) Polybus, Histories, 3.16.

النظر لما يترتب على علاقته معها، فبينما كانت الأخيرة تجتاز في تلك الفترة أسوأ مراحل الصراع مع قرطاج، والتي سيطرت فيها على سيراكوز وكابوا لتتضم إلى المكاسب الأخرى مثل مدينة ثرمي (هيمرا) التي اعتبرت جسراً بالغ الأهمية بين إيطاليا وأفريقيا، وقد انطلق ديمتريوس آنذاك في حملاته برفقته قبيلة الإستران الشمالية وهاجم قبيلة الإنتنتاني الحليفة لروما والتي اشترطت حمايتها في أحد بنود الاتفاقية السابقة مع الملكة تيوتا. (62) وقد كان عنصر الإخلاص والوفاء ضرورياً وجوهياً بالنسبة إلى روما في علاقتها مع ديمتريوس فاروس وذلك للأهمية السياسية والاقتصادية التي أصبحت تمثلها تلك المنطقة، فقد نظر الرومان إلى ديمتريوس على أنه الشخص المناسب لهم في تلك الظروف، وعلى هذا الأساس كان تعامل مجلس الشيوخ الروماني معه (63) غير أن تبدل موازين العمليات العسكرية التي اتبعها ديمتريوس حيث بدأت الشكوك تحوم حوله والتي كانت سبباً في تبدد ثقتهم فيه؛ لذا رأت روما أن طموحاته السياسية جعلته غير قابل للتعامل مع مصالحها مستقبلاً. (64)

2- تغيير موقف روما من ديمتريوس فاروس

عندما بدأت روما تستشعر روح الخيانة من ديمتريوس وانتهاكه للاتفاقية التي وقعتها مع الملكة تيوتا حول وقف جميع الأعمال العدوانية والتزام جميع الإيليريين ببنود معاهدة التسوية للحرب الإيليرية الأولى؛ نظر الرومان إليه بمنظور الخيانة والجحود والنكران والتهور في أعماله واحتقاره للطف به وحسن النية التي قدمتها له. (65) وقد كانت هذه الأعمال في نظر روما من العوامل المهمة لتشويه العلاقات الدبلوماسية بين الكيانين والحجة لرد الفعل الروماني الثاني ضد إيليريا، فروما نظرت إلى ديمتريوس على أنه وكيل وعميل جاحد؛ لأنه أخذ في عقد تحالفات مع العديد من أعداء روما، مثل الملك فيليب الخامس العدو اللدود لها والوقوف معه في صراعه ضدها، (66) وهي تلك الفترة التي كانت روما وقتها منشغلة بالحروب الخارجية، في الشمال والجنوب، والتحالف مع قبيلة الهستري عام 221 ق.م، التي كان لها نفس أنشطة ديمتريوس في المنطقة. (67) وهنا يذكر المؤرخ هنري أرميرود أن ديمتريوس قد تحصل على دعم وسند مقدوني عام 220 ق.م، وربما هذا ما

(62) Appian, Historie, VIII, 8.

(63) Appian, Illyrian. 3.2.7.8.; Appian, Historie, VIII, X, 8.

(64) Appian, Historie, VIII, X, II, 8.

(65) Dzino, D, Illyricum in Roman Politics 229 BC-AD68 (Cambridge 1920), p 52.

(66) Appian, Historie, VIII, X, 8.

(67) Dzino, D, Illyricum in Roman Politics, p 52.

جعله يشعر بالقوة في المنطقة؛ لممارسة أعماله السابقة من الاعتداء والسلب.⁽⁶⁸⁾ خاصة بعد أن ترددت روما وتأخرت كثيراً في الرد على أفعاله العدائية.⁽⁶⁹⁾ وفي اعتقادي هذا تحليل منطقي؛ لأن سياسة مقدونيا في المنطقة تتعارض مع سياسة روما الاستعمارية المتصاعدة، ومخططاتها في السيطرة على شرق البحر الإديرياتيكي؛ لذا سعت مقدونيا من البداية لإفشال أي تحالف أو تقارب بين ديمتريوس وروما العدو اللدود لها، وهذا ما دفعها للبحث عن أسباب مشتركة تجمعها في تحالف مع ديمتريوس ضد روما، وهذا ما يفسر لنا تغير موقف روما من ديمتريوس بعد زوال روابط الصداقة فقدان الثقة بينهم، حيث بحثت روما عن ذريعة لتغيير موقفها من ديمتريوس الجاحد، فلم تجد أفضل من الاتفاقية التي وقعتها مع الملكة تيوتا، وأنه لم يلتزم ببندو المعاهدة التي تنص على وقف جميع الأعمال العدوانية من جانب الإيليريين، وعدم تهديد خطوط الملاحة في البحر الإديرياتيكي. على هذا الأساس يمكن القول: إن ديمتريوس قام بشن العديد من الهجمات والتوسع في أعماله العدائية؛ حيث كان يرى في الاتفاقية التي وقعتها روما مع الملكة تيوتا التي تمنع الإيليريين من الإبحار لما وراء ليسوس بأكثر من سفينتين غير ملزمة له؛ وبالتالي قام بأعمال القرصنة والإبحار لما وراء هذا الخط الذي رسمته روما. (70)

ولكن في تصوري: أن ديمتريوس سواء أكانت الاتفاقية ملزمة له أو غير ملزمة إلا أن تحديه للرومان يظل من جملة الأسباب الرئيسة لتغيير موقف روما تجاهه؛ فقد أصبح على قدر كبير من القوة، إضافة إلى تحالفاته مع القوة الإقليمية مثل مقدونيا التي كانت أقوى ممالك الشرق الهلينستي وأقربها لروما، ورغم قلة مساحتها وضآلة ثرائها إلا أنها أكثرها وطنية وحباً للقتال، فضلاً عن طموحات ملوكها التوسعية من أجل استعادة امبراطورية الاسكندر، حيث وطنية شعبها الذي يعيش على أرض آبائه وأجداده وليس هناك ما يهدد وجوده أو يقلق بال حكامها، عكس الممالك الأخرى التي قامت على أراضي مغتصبة؛ ولهذا كانت مقدونيا أقوى هذه الممالك، وهذا ما كانت تخشاه روما حيث كان يهدد وجودها في منطقة البلقان خاصة بعد تحالفها مع ديمتريوس. (71) ولهذا سعت لإفشال مشاريع ديمتريوس في المنطقة وتحجيم دوره، واختلقت له الذرائع والأسباب ووجهت إليه رسمياً تهمة انتهاكه المعاهدة التي وقعتها مع الملكة تيوتا خلال الفترة من 222 - 219

(68) Henry.A.Ormerod, Piracy in the ancient world,p183

(69) Polybus,Histories,3.16.

(70) Gruen,E,S,the Hellenistic World and the Coming of Rome,(London,1984).p 371.

(71) سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، ص 169.

ق.م. (72) وعلى هذا الأساس شنت روما سنة 219 ق.م، هجوماً عسكرياً وتدخلًا مباشراً ضد ديميتريوس الذي لاذ بالفرار إلى حليفه الملك فيليب المقدوني محاولاً التأثير عليه وإقناعه بمساعدته لمحاربة روما، (73) والعجيب هنا أن الملك فيليب لم يغامر بالمشاركة مع ديميتريوس خاصة بعدما أرسلت روما سفارة إلى فيليب تطالبه بتسليم ديميتريوس فاروس الذي لجأ إليها وأن الأمر في غاية الأهمية لدى روما لاسيما هذا الوقت أجل المحافظة على سلطتهم وتحقيق الأمن والاستقرار في منطقة الإديراتيكي، غير أن هذا الأمر لم يتم تحقيقه لروما بحكم التحالف القائم بين الطرفين نظراً لرفض فيليب تسليم حليفه لرومان. (74)

ولعلنا نستطيع أن نتصور والحالة هذه أن من جملة الأسباب الرئيسة في ماطلة روما كبج جواح ديميتريوس فاروس تلك الظروف السياسية والعسكرية التي كانت تمر بها روما في تلك الفترة؛ لأن الأولويات لديهم لم تكن في إيليريا في الفترة من 221 - 219 ق.م، بل كانت في مكان آخر، (75) فلقد كان الصراع مع قرطاجة على أشده، إضافة إلى أن روما قد دخلت في حرب عسيرة عام 220 ق.م، ضد قبائل الغال في الشمال الإيطالي وضد قبائل الإستيريين، هذه الظروف جعلت روما تغلق الباب الخلفي الممثل في ديميتريوس واستفزازاته؛ لأنها كانت تخشى ممن يقف في الخارج - العدو الأفريقي - قرطاج وتهديداتها وقبائل الشمال. (76) وعلى الرغم من كل هذه التحديات التي كانت تواجهها روما إلا أنه بمجرد هدوء هذه الجبهات والانتهاز منها مؤقتاً تحركت روما بشكل سريع ضد ديميتريوس وأعماله العدائية وشنت عليه هجوماً سريعاً، حيث بلغ الأمر بديميتريوس أن قام بهدم قرى وقلاع تابعة وحليفة ومنحازة دبلوماسياً لروما. (77) وعند ذلك زحفت روما بجيشها على ديميتريوس، وفي أثناء القتال هرب ديميتريوس من بلدته فاروس هو وحاشيته إلى مقدونيا حيث استقبله الملك فيليب، وبعد انسحاب الجيش الروماني وعودة ديميتريوس من إقامته عند الملك فيليب إلى بلده، بدأ في ممارسة أعماله العدوانية، وقد لحقت به القوات الرومانية مرة أخرى حيث تمكنت هذه المرة من القبض عليه وقتله وتدمير بلدته فاروس. (78) التي اشتهرت بأعمال القرصنة طيلة فترة العشر سنوات التي قضاها

(72) Dzino,D, Illyricum in Roman Politics 229 BC-AD68,p 52.

(73) Polybus,Histories,3.16.

(74) Henry.A.Ormerod, Piracy in the ancient world,p178.

(75) the Hellenistic World and the Coming of Rome, pp368.

(76) Walbank,F.W,A Historical Commentary on Polybius:Vol,I,(Oxford,1970),p325.

(77) Dio Cassius, Roman History,12.53.

(78) Appian,VIII,X,II,8.

ديمتريوس في الحكم. (79) غير أن الرومان لم يقوموا بإيذاء السكان الإيليريين بناءً على طلب من بانيس ابن الملك الراحل أجرون، وفي نهاية النزاع وقعت معاهدة جديدة بين بانيس والرومان التزم بها الطرفان، وبذلك تكون الحرب الإيليرية الثانية انتهت بمقتل ديمتريوس فاروس. (80)

(79) Polybus, Histories, 1, 11, 41.

(80) Appian, VIII, X, 11, 8.

الخاتمة

على هذا الأساس يمكن إيضاح جملة من النتائج على النحو التالي:

1- يتضح أثر التضاريس في منطقة البحر الإديراتيكي ودوره في دفع سكان المنطقة إلى العمل في مجال البحر وما يمكن الحصول عليه، وهو ما أدى إلى ازدياد الأفراد والجماعات في ممارسة أعمال الاعتداءات على نطاق واسع، كما أن للتبادل التجاري، وكثرة مرور السفن التجارية في منطقة البحر الإديراتيكي بين الممالك والدول المطلة عليه دور كبير في تشجيع الكثيرين من اللصوص ورجال القبائل للحصول على الغنائم؛ مما أدى إلى تضرر كثير من الدول وقطع سبل التواصل بينها.

2- إن التدخل الروماني العسكري ضد إيليريا عجل به تلك الممارسات والاعتداءات على السفن وهو ما يعتبر نقطة البداية في وضع منطقة شرق البحر الإديراتيكي على لائحة السياسة الخارجية الرومانية، فكانت هذه الممارسات الخطوة الأولى نحو التصادم مع ممالك ودول العالم الهيلينستي، ولهذا يمكن القول: إن هذا العمل العسكري من جانب روما كان في البداية رداً على التهديد الخارجي الذي شكله الوضع الأمني المضطرب في منطقة الإديراتيكي؛ لذا سعت في البداية لحماية مصالحها المحدودة قبل أن تتطور هذه المصالح إلى الرغبة في ضم هذه المنطقة إلى مناطق النفوذ الروماني وفرض سيادتها الخارجية على حساب القوة الإقليمية .

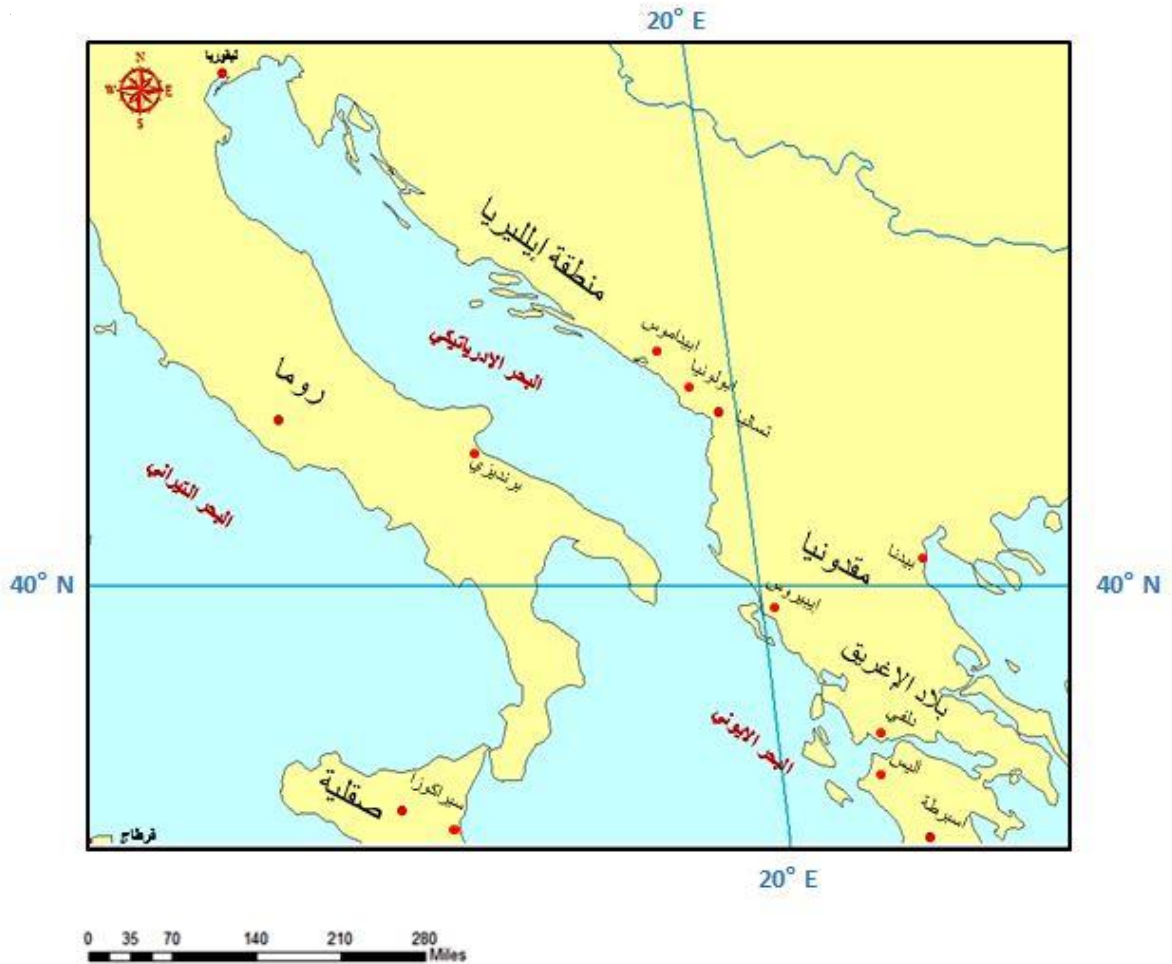
3- تبين مما تقدم أن قرارات روما في التدخل في إيليريا أدت إلى توقف الذرائع والأسباب التي ارتأتها أنها تتماشى مع مسيرة عملها السياسي والعسكري في المنطقة من 230 - 167 ق.م، وهي الفترة التي شهدت سلسلة من الأنشطة السياسية والعسكرية الإيليرية في البحر الإديراتيكي والتي تطلبت رد فعل من روما، وقد تحقق هذا من خلال عدد من الحملات العسكرية الناجحة والاتفاقيات الدبلوماسية التي طورت المصالح الرومانية إقليمياً وعسكرياً ودبلوماسياً في إيليريا؛ حفاظاً على خطوط حركة التجارة بين روما ومصادر تموينها في الجنوب الإيطالي والجنوب الشرقي البحر الإديراتيكي، فهذه الشبكة التجارية الإقليمية المهمة كانت بمثابة الشريان الاقتصادي بالنسبة للإمداد الغذائي لروما.

4- كانت عملية اغتيال السفير الروماني من جانب الملكة تيوتا قد أغلقت أفق أي سفارة أخرى بين الطرفين، وعلى أثر ذلك جاء رد الفعل قوياً وحازماً من جانب روما خلال التدخل الأول عبر البحر الإديرياتيكي بتوجيه حملة عسكرية قصيرة حققت أهدافها بشكل فعلي ومؤثر.

5- شعور روما بأهمية المنطقة من حيث أمنها الاقتصادي فشرعت في فتح سلسلة من الارتباطات الدبلوماسية مع من يمكنه خلق مجال تأثير لها على طول الجنوب الشرقي للإديرياتيكي، وبالفعل سرعان ما أدت هذه الارتباطات الدبلوماسية إلى إدخال روما بشكل كبير في علاقات صداقة إلى أن تتقدم بمرونة دبلوماسية وتبرز التطورات المهمة في التدخلات الرومانية الثانية في إيليريا حيث كان موجهاً ضد ديمتريوس فاروس وهذا التدخل قد عكس الأهمية الاستراتيجية لروما في الاحتفاظ بالسيطرة والهيمنة الخارجية حول المنطقة الإيليرية، فالمعاهدة التي وقعتها تيوتا مع روما خلقت سلسلة من الروابط الدبلوماسية عبر الإديرياتيكي والتي يمكن وصفها بامتداد النفوذ الروماني في المنطقة، وفرض نوع من الإدارة الاستعمارية وتثبيت روما ككيان سيادي له زعامته في شرق البحر الإديرياتيكي.

6- تدخل روما ضد إيليريا يعتبر مقدمة الصراع مع الشرق الهيلينستي حيث اعتبرت روما مساعدات مقدونيا وتحالفها مع إيليريا، وما قدمته من مساعدات إلى ديمتريوس فاروس، بمثابة إعلان العداء الصريح لها من جانب مقدونيا، وبذلك أصبحت الأخيرة هي فاتحة الصراع بين روما والممالك الهيلينستية في شرق البحر المتوسط.

- ملاحق:



خريطة رقم (1)

خريطة تبين موقع منطقة إيليريا في شرق البحر الادرياتيكي.

-Explorethemed.com / Images / maps / Romemed330.BCEI.

- Semple ,Pirats, Coasts Of The Of The Mediterranean,p142

- قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: المراجع العربية :

- 1- إبراهيم، نصحي ، تاريخ الرومان ، ج1، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة، ط 2، 1998.
- 2- سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، كلية الآداب جامعة القاهرة، القاهرة، 1976 .
- 3- عبداللطيف أحمد ، على، التاريخ اليوناني -العصر الهللاي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971.

- ثانياً: المصادر الأجنبية

- 1- Appian, Illyrian wars in (White.H(trans.), Appian Roman History: Volume II, 8 Edition, 2005).
- 2- Appian, Macedonian Affairs (White.H(trans.) 1 Edition, London, 1899).
- 3- Plutarch, Life of Flaminius. Perrin. B trans. (London, 1921).
- 4- Polybius, Histories, trans by: Paton. W.R Vols I, II, III, IV, V, VI, VII, (LCL, London, 1960).
- 5- Polybius, Histories, (Paton. W.R (trans.) Revised by Walbank. F.W and Habicht. C (Cambridge, 2010).
- 6- Dio Cassius, Roman History, (Cary. E(trans.)(London, 1914).
- 7- Livy, ab urbe condita Books XX (Periochae) B.O(trans)(London, 1926).
- 8- Strabo, Geography (Jones. H.L (trans.) London, 1924).

- ثالثاً: المراجع الأجنبية

- 1- Bevan. Seleucus, E.R. the House of Seleucus, vol, 1, (Chicago, 1983).
- 2- Burton. P.J, Friendship and Empire: Roman Diplomacy and Imperialism in the Middle Republic (353-146BC) (Cambridge, 2011).
- 3- D.W. Baranowski, Polybius and Roman Imperialism. (Bristol, 2011).
- 4- Dzino. D, Illyricum in Roman Politics 229 BC-AD68 (Cambridge 2010).
- 5- Eckstein. A.M, Rome Enters the Greek East (Chichester, 2012).
- 6- Ellen Churchill Semple, Pirate Coasts of the Mediterranean Sea

Geographical Review, vol.2, No.2 (Aug., 1916).

7- Gruen.E.S, The Hellenistic World and the Coming of Rome (London 1984).

8-Harry J.Dell, The Origin and Nature of Illyrian Piracy, Geschichte piracy Zeitschrift Fur Alte vol 16, No 3, franz St Einer verlag, (1967).

9- Harris, w.v. war and Imperialism in Republican Rome, 327-70 BC, (Oxford, 1979).

10- Henry. A, Ormerod, M. Cary, East, Rome, and, The, East", C.A.H, vol, lx, ch, viii, Cambridge, (1932).

11 - -----, Piracy in the ancient world, unlversty Liverpool, (London 1924) .

12- Holleaux. M, Rome, La Grece et Monarchies Hellenistiques au Ille Siecle avant j-C. (273-205) Paris, 1935.

13- J.M.F. May, Macedonia, and, Illyria, (217-167 B.C.), the, Journal, of, Roman, Studies. vol. 36., parts, 1 and 2, (1946).

14- N.G.L. Hammond, Illyris, Rome and Macedon in 229-205 BC. Journal of Roman Studies, Vol. 58. No. 1-2 (1968).

15- P. V. M. Benecke, Rome and Hellenistic States, C.A.H, vol, Ch, IX, Cambrige, 1932

16- Gruen. E.S. the Hellenistic World and the Coming of Rome (London, 1984).

17- Walbank. F.W. A Historical Commentary on Polybius: Vol, I (Oxford, 1970).